**رسالة صاحب الجلالة الملك محمد السادس إلى ندوة « مغربية الصحراء في التراث التاريخي والأدبي "**

تطوان، 25 محرم 1422 هـ الموافق 20 أبريل 2001 م

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه،

حضرات السيدات والسادة،

إننا حينما نتوجه إليكم بهذه الرسالة الملكية في مفتتح أشغال ندوتكم عن مغربية الصحراء في الخطاب التاريخي والأدبي، إنما نود أن نعرب لكم عن رضانا وسابغ رعايتنا لهذه التظاهرة التي تنعقد بمدينة تطوان المجاهدة، التي ظلت وشائج القربى موصولة بينها وبين مختلف رعايانا في الصحراء طيلة فترة الاستعمار الإسباني لشمال المملكة وجنوبها وأن ننوه بجعل العمل الفكري والجهاد الثقافي في سبيل تثبيت الوحدة الوطنية المغربية وصيانتها موازين لكل عمل وطني آخر.

فمغربية الصحراء حقيقة تاريخية تتجلى في التراث الفكري والأدبي، في الظهائر المولوية الشريفة والرسائل الملكية التي كان يتلقاها شيوخ القبائل في موضوع تعيينهم وتوقيرهم واحترامهم وسائر مخاطباتهم.

كما تتجلى في ملاحم التاريخ المغربي وفي أدب الرحلات وفي الوثائق التاريخية والمخطوطات بمختلف أنواعها. فهذا التراث الغني الذي يمثل فيضا من الشهادات والبراهين على مغربية الصحراء، والذي ساهم في إيداعه والحفاظ عليه جميع المغاربة سواء في الشمال أو في الجنوب، يؤكد أن تاريخ المغرب ضرب الجذور في عمق الأقاليم الجنوبية من بلادنا، وأن هذا التاريخ ظل يستمد حيويته وتجديده من ذلكم العمق الصحراوي للمغرب منذ قيام دولة المرابطين.

إن الرجوع إلى هذا التراث ولاسيما في مجال الأدب والتاريخ لإبراز هذه الحقيقة وترسيخها في الذاكرة الوطنية، واجب وطني وجهاد في نفس الوقت لا يقلان أهمية عن الجهاد الميداني الذي خاضه شعبنا بجميع فئاته وقاده أسلافنا الميامين في سبيل الحفاظ على الوحدة المغربية بين الشمال والجنوب وفي سبيل التصدي لكل المناورات والأطماع الاستعمارية مهما كان مصدرها وهدفها.

ولذلكم كانت المسيرة الخضراء التي أبدعها والدنا المنعم جلالة الحسن الثاني قدس الله روحه، وقادها في سبيل استرجاع الأقاليم الجنوبية بذلكم الأسلوب الشرعي والسلمي الذي أثار إعجاب العالم، تشكل مرحلة من مراحل استكمال المغرب لوحدته من منطلق الالتزام بالبيعة التي تطوق جميع المغاربة بكل مكوناتهم وفي جميع أقاليمهم بميثاق الالتفاف حول عرشهم، كما تطوق الملك أمير المؤمنين بأمانة الذياد عن هذه الوحدة واستمرارها.

حضرات السيدات والسادة،

إن الامتداد المغربي جغرافيا ووطنيا ومؤسساتيا يوازيه ذلكم الامتداد الثقافي والفكري والمذهبي الذي يشكل إطار الثقافة الوطنية. فكما يتوفر المغرب على هذا التنوع في التضاريس الجغرافية وعلى التكامل بين الصحراء والجبال والسهول، فكذلك يتوافر لثقافة المغرب هذا التنوع في الإبداع والتفكير الذي يجعل من الخصوصيات الثقافية واللسانية المتعددة خيوطا رفيعة تنسج هذه الوحدة الوطنية المتناسقة.

ومما لا ريب فيه أن الخطاب الأدبي والتاريخي خير شاهد على ذلك. ولذلك ما فتئ المغرب بكل مكوناته ومؤسساته الوطنية وفي مقدمتها العرش العلوي المجيد يعبر عن وفائه لهذه الوحدة والتزامه باستمرارها بعد أن صاغها تاريخ عريق امتد قرونا وعصورا.

بيد أن هذه الوحدة تعرضت خلال حقبة الاستعمار لمحاولات التجزئة ومناورات التفكيك، فعمل المستعمر المتعدد الجنسيات على تحويل المغرب إلى كيانات مجتثة من تاريخها وإشاعة التشكيك فيها. غير أن جهاد المغاربة قاطبة خلال مرحلة المقاومة والتحرير بقيادة جدنا المنعم ووالدنا المقدس اللذين كانا مطوقين بميثاق البيعة كأسلافهم في الحفاظ على الصحراء المغربية، أفشل كل مناورات التجزئة والانفصال.

فلم تنل مخططات الاستعمار في شيء من ذلكم الميثاق الشرعي الذي تشبث به رعايانا في الصحراء كعروة وثقى لا انفصام لها.

وهذا هو سر ذلكم التجاوب الذي لفت نظر العالم في المسيرة الخضراء بين العرش والشعب في الشمال والجنوب، معبرة عن تلاحم مكونات الأمة المغربية وراء قائدها مبدع المسيرة ومحقق الوحدة. فالتقت الأجيال الجديدة من المغاربة في الشمال بالأجيال الجديدة من إخوانهم في الصحراء كما كان يلتقي أسلافهم وهم المنحدرون جميعا من أصول واحدة.

وإذا كانت المسيرة الخضراء قد حققت هدفها الأول من استرجاع هذا الالتحام الوطني، فإنها أصبحت منطلقا لمسيرة أخرى جديدة في تنمية الأقاليم الجنوبية وذلكم بتوفير المنشآت والبنيات التحتية وفتح الأوراش العديدة في كل مجال.

وسيرا على نهج والدنا المنعم في جعل هذه التنمية الشاملة لأقاليمنا الصحراوية تجسيدا لوحدة المواطنة المغربية بين رعايانا في الشمال والجنوب، فإننا منذ اعتلينا عرش أسلافنا الميامين لم ندخر أي جهد في المضي بالإقلاع التنموي لهذه الأقاليم نحو الأفق الأرحب والمستوى الأعلى الذي نتوخاه لرعايانا الأعزاء فيها، وذلك بمواصلة فتح المزيد من الأوراش في كل القطاعات الاجتماعية والاقتصادية الإنتاجية لاستثمار كل الموارد البشرية ولاسيما الشباب والنساء ليندمجوا في المشروع التنموي الذي أقدمنا بكل عزم على إنجازه، عاملين في ذات الوقت على توفير جميع حقوق أبناء هذه الأقاليم في إشراكهم في إدارة الشأن العام لحياتهم والحفاظ على خصوصياتهم الثقافية، اقتناعا منا بأن الجهوية واللامركزية في أوسع معانيها وتجلياتها الديمقراطية في إطار الإجماع والسيادة والوحدة الوطنية والترابية للمملكة، تعد أحسن خيار وأقوم سبيل لتجاوز النزاع المفتعل حول مغربية الصحراء التي تشكل ندوتكم فرصة أخرى لتأكيدها.

إن المسار الديمقراطي الجهوي الذي نرعاه بكل حزم وعزم وإخلاص، سيمكن كل المواطنين المغاربة ولاسيما أبناءنا في الصحراء من معالجة قضاياهم وإدارة شأنهم من موقع حاجياتهم ضمن منظور تشكل فيه اللامركزية الجهوية ضرورة وطنية، ومطلبا ديمقراطيا، يستهدفان تفعيل كل الطاقات والموارد البشرية محليا وجهويا وإقليميا، معتقدين بأن التنوع هو الذي يغني الوحدة الوطنية ويدعمها. فليست الديمقراطية مجرد تجسيد للمساواة في ظل دولة الحق والقانون وإنما لابد لها أيضا من عمق ثقافي يتجسد في احترام الخصوصيات الجهوية وإعطائها الفضاء الملائم للاستمرار والإبداع وإثبات الهوية.

حضرات السيدات والسادة،

مما لاشك فيه أن الأدب المغربي بمختلف أجناسه وأساليبه ليس سوى - تعبير عن حقيقة الوحدة الثقافية وعن مغربية الصحراء. ففي الشعر الصحراوي تتوازى القصيدة العربية والحسانية في التعبير عن الذات أو عن الجهاد الوطني أو عن الولاء للعرش العلوي المجيد. ومثل ذلك يقال في الأجناس الأدبية الأخرى. والباحثون في تراثنا المغربي يجدون هذه المظاهر ماثلة للعيان في وحدة البرامج والكتب الدراسية والمقررات التي كانت تدرس في الزوايا والمؤسسات العلمية في مدن كالسمارة والداخلة والعيون وطرفاية، مثلما في مراكش وتطوان وفاس على سبيل المثال. كما نجد المذهب المالكي بمراجعه والتصوف السني بشيوخه سائدين في ربوع المملكة المغربية.

من هنا تتمثل الأهمية البالغة لندوتكم التي ستتيح للباحثين أن ينشروا صفحات التاريخ المغربي ويبرزوا ما تتضمنه من دلائل ناصعة تنطق بمغربية الصحراء وتعزز الإيمان بهذه الحقيقة بالتوثيق والبرهان.

فالوحدة الوطنية المغربية ومغربية الصحراء من ضمنها، ليست مجرد دعوى سياسية وإنما هي بالأساس نسيج سلالي ولساني ومذهبي وديني وصوفي ومؤسساتي، بحيث لا يكتسب أي خطاب سياسي وحدوي في هذا المجال مصداقيته إلا من هذه المقومات التي تقوم عليها الأمة المغربية كما تقوم عليها دعائم العرش المغربي العتيد.

وإن عقد هذه الندوة القيمة عن الصحراء بمدينة تطوان في أقصى شمال المملكة، لدليل آخر على وحدة المغرب وسريان الشعور بها بين مكونات الشعب المغربي قاطبة.

لذلكم ننوه بهذه التظاهرة التي جاءت لتؤكد نجاح التظاهرة الأولى بمدينة العيون، مشيدين بالتعاون الذي جمع بين جمعية فاس سايس وجمعية تطوان أسمير لإنجاحها، والتي تستهدف فتح فضاء مغربي تلتقي فيه كل جهود الباحثين للحوار وتعميق الوعي بالوحدة الوطنية وبمغربية الصحراء وترسيخها في الذاكرة الوطنية، لتظل أمانة بين الأجيال المتعاقبة، داعين لكل الفعاليات التي ساهمت فيها أو في تنظيمها بالتوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.